التنوع الإعرابي في القراءات القرآنية وأثرة في المعنى في سورة النمل

علي محسن حسين الحسني
قسم اللغة العربية- كلية التربية والعلوم ـ رداع-جامعة البيضاء.

الملخص
يهدف البحث إلى الوقوف عند المعاني المستنبطة من تنوع القراءات القرآنية الإعرابية والصرفية، وبيان الدلالات المتباينة من هذا التنوع، فإن القراءات القرآنية تحمل في طياتها معانيَ واسعة، وتنفتح على دلالات مكثفة كلما تنوعت، وكل قراءة لا تُعد ضدا لأختها، إنما هناك تكامل وتآلف وتعاضد، فكل قراءة تسلط الضوء على وجه من وجوه المعاني، وقد حاول الباحث أن يتعمق في أسرار هذه المعاني بدراسة تراكيب القراءات، وقد اقتصر البحث على سورة النمل فقط، واستخرج الشواهد، وقام بدراستها دراسة وصفية تحليلية، وتم تقسيم البحث إلى مبحثين هما: المبحث الأول- التنوع الإعرابي، والمبحث الثاني- التنوع الصرفي.
الكلمات المفتاحية: القراءات القرآنية، التنوع الإعرابي، التنوع الصرفي.

Syntactic Diversity in Quranic Readings and its Effect on Meaning in Surat AnNaml

Abstract
This research aims to explore the meanings derived from the diversity of Quranic readings in terms of syntax and morphology, and to demonstrate the varying implications of this diversity. Quranic readings carry broad meanings and open up to dense implications as they diversify. Each reading does not contradict the other, but rather complements and supports it. The researcher attempts to delve into the secrets of these meanings by studying the structures of the readings.
The research focuses on Surah Al-Naml and extracts evidences, by conducting a descriptive and analytical study. The research is divided into two sections. The first section dealt with syntactic diversity, and the second section dealt with morphological diversity.
Keywords: *Quranic Readings, Syntactic Diversity, Morphological Diversity.*

المقدمة

الحمد لله رب العالمين وبه نستعين، وصلاة وتسليما كثيرين نزجيهما للمبعوث رحمة وهداية للعالمين محمدٍ وعلى آله ومن سار على نهجهم واقتفى آثارهم.

لا تزال الدراسات القرآنية تترى بدون انقطاع فمنها ما يعنى باللغة وغريبها، ومنها ما يطرق اللهجات العربية الفصيحة، ومنها ما يتناول النحو والصرف، ومنها ما يختص بالتفسير، ومنها ما يأخذ جانبا آخر، وهكذا تستمر الدراسات تردف بعضها بعضا، فتجد نبعا لا ينقضي، وكنزا لا يُدرك كنهه، فكان هذا البحث من مجموعة هذه الأبحاث التي تحاول جاهدة أن تقف على بعض أسرار القرآن الكريم وعجائبه التي تزداد بازدياد الدراسات التي تقام حوله.

سبب اختيار البحث:

أراد الباحث أن يكون مجال بحثه في القرآن الكريم قربة له عند ربه، ثم جاءت الرغبة في استكشاف المعاني القابعة بداخل تلك القراءات المتنوعة، ومحاولة استخراجها لتكون ظاهرة في هذا البحث.

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى الآتي:

1- الوقوف على أسرار النظم القرآني من خلال تنوع القراءات القرآنية.

2- بيان الفرق في المعنى بين أوجه القراءات المتنوعة.

3- الوصول إلى معاني مكثفة من خلال تنوع القراءات.

منهجية البحث:

سار الباحث على خُطى المنهج الوصفي التحليلي إذ كان ينظر إلى الآية الشاهد فيقوم باستخراج الكلمة التي فيها أكثر من وجه إعرابي أو صرفي، ثم يقوم بعرضها على أئمة القراءات لينظر ما الذي قالوه حولها، ثم أصحاب كتب إعراب القرآن الكريم للنظر ما إذا كان هناك معنى خفي بين سطورهم، ثم بعد ذلك يجتهد برأيه بعد عرض الآراء وتداولها.

حدود البحث:

اقتصر الباحث على سورة النمل؛ لئلا يطول البحث، وتكثر صفحاته، كما أنه اقتصر على شواهد بعينها، ولم يذكر كل القراءات الواردة في السورة نظرا لتكرار الشاهد في بعضها، أو لتوقف علماء القراءات عن تخريج بعضها الآخر فخشي الباحث التقول في التأويل بما لا يحتمله النص.

الدراسات السابقة:

لا يوجد فيما أعلم دراسة قد طرقت التنوع الإعرابي وربطته بالمعنى في سورة النمل، لكن هناك دراسات مشابهة في القراءات القرآنية وعلاقة النحو بها، يُذكر منها على أمثلة لا حصرا الآتي:

1- الأحكام النحوية والقراءات القرآنية، أطروحة دكتوراه، الباحث: علي محمد النوري، جامعة أم القرى، 1990م.

اتفق هذا البحث مع تلك الدراسة في القراءة القرآنية وربطها بالنحو والعلامات الإعرابية، واختلفت معها في أنها لم تعرج على ارتباط العلامات الإعرابية بالمعنى، بينما قامت هذه الدراسة على الربط بين العلامة الإعرابية والمعنى.

2- الاحتجاج للقراءات، د. محمد أبو القاسم حسن، المكتبة الوطنية، السودان، 2012م.

اتفق هذا البحث مع تلك الدراسة في أن كليهما قد ربط المعنى بالعلامة الإعرابية، أما الاختلاف فإن كتاب (الاحتجاج) اقتصر على الكتب التي ألفت في القرن الرابع الهجري، وعلى الربع الأول من القرآن الكريم، كما أن دراسته كانت عرضا للآراء التي قيلت وغلب عليها الموازنة بين الآراء، وكانت المسائل كثيرة جدا مع استفاضة في الشرح، أما البحث الذي بين أيدينا فاقتصر على سورة النمل، نحوا وصرفا، مع انتقاء بعض المسائل وليست كلها نظرا لقلة عدد صفحات البحث التي لا تتيح للباحث أن يتجاوزها.

3- التفسير اللغوي الاجتماعي للقراءات القرآنية، د. هادي نهر، عالم الكتب، إربد، 2008م.

اتفق بحثي مع هذا الكتاب في أن كتاب التفسير اللغوي قد تناول القراءات في خمسة فصول متوسعة، تناول في الفصل الأول علم اللغة الاجتماعي ثم القراءات القرآنية، وأنواعها، والحكمة في تعدد وجوه القراءات، وفي الفصل الثاني تناول المستوى الصوتي، وفي الفصل الثالث تناول المستوى الصرفي للقراءات القرآنية ودلالاته، وفي الفصل الرابع تناول المستوى النحوي ودلالاته، وفي الفصل الخامس تناول المستوى المعجمي الدلالي، كما أنه لم يحصر كتابه الآنف الذكر على جزء معين في القرآن الكريم، أما بحثي هذا فقد انحصر على مستويين لغويين فقط، هما: النحوي، والصرفي في سورة واحدة.

خطة البحث:

نظرا لقلة صفحات البحث فقد اقتضى تقسيمه إلى مبحثين: الأول هو التنوع الإعرابي في سورة النمل، والثاني هو التنوع الصرفي في سورة النمل، واشتملا على أغلب الكلمات الواردة في السورة سواء ما تنوع فيها الإعراب للكلمة الواحدة، أو ما اختلفت بنيتها من الكلمات سواء بتشديد حرف أو اختلاف حركة مما يؤدي إلى تغير المعنى.

التمهيد

التنوع مأخوذ من الجذر (ن و ع) الذي يعني كل ضرب من الشيء، أي: القسم أو الجنس، وكل صنف من كل شيء، والتنوّع الصيرورة أنواعا وأقساما (الفيروزآبادي،2008م، 826).

وليس البحث بصدد تأصيل علم القراءات أو الخوض في تفاصيل هذا العلم الجليل، فهذا العلم له مسلكه وأهل اختصاصه، إنما هو دارسة فرعية في مسألة الاحتجاج الدلالي لكل قراءة متواترة من القراءات العشر في سورة النمل، وقد جاء عن النبي –صلى الله عليه وسلم- أنه قال: "إن هذا القرآن أُنزل على سبعة أحرف، فاقرؤوا ما تيسر منه" (النيسابوري،(د.ت) 1/ 560)، واختلف العلماء إلى آراء عديدة جدا حول معنى (سبعة أحرف) (حسن،2012م، 2، 3) ليس هنا موضع بسطها والحديث عنها.

والقراءات هي الوجوه اللغوية والنحوية والصرفية واللغوية والصوتية المتنوعة التي جاءت تيسيرا وتخفيفا على القارئ هبة من الله الكريم (الجزري، 2002م،9)، ولا يخفى علينا ما لها من أهمية عظمى لأصحاب اللهجات من تخفيف وتثقيل وإمالة وتشديد ومد وقصر وغيرها من فنون القراءات.

ولعل من يلاحظ التنوع والاختلاف الذي تحظى به القراءات القرآنية الكريمة يدرك أن "أرباب الفصاحة وفرسان البيان قد عجزوا عن محاكاة القرآن عجزا مطلقا لا لبس فيه ولا غموض حيث أقروا بذلك"(عادل الرويني،2008م، 6)، ومن هنا كانت الدراسات القرآنية عموما ليست محيطة كل الإحاطة بنظم القرآن، إنما هي محاولة للسير في ركاب من خط قلمه لبيان ما عليه النظم القرآني من بلاغة وبيان.

ولعل ما يجب بيانه في هذا البحث هو شروط القراءة الصحيحة لتكون معتمدة، ويجوز التلاوة والتعبد بها:

1- أن تكون مروية بالتواتر بسند يصل إلى سيدنا رسول الله –صلى الله عليه وسلم-.

2- أن توافق خط المصحف العثماني ورسمه.

3- أن توافق وجها من وجوه اللغة العربية نحوا، أو صرفا، أو تركيبا، أو دلالة. (الجزري، 2002م، 9).

والتنوع الإعرابي والصرفي في القرآن ليس ببعيد عن مجريات البلاغة والفصاحة؛ إذ تنوعت القراءات القرآنية فبدت ثرية غنية بمعانٍ أردف بعضها بعضا، وعضد بعضها الآخر حتى ليكاد المرء يحار في كيفية تخريج معاني القراءات لتقاربها وتشابهها، وعدم خروجها عن المألوف اللغوي.

وهكذا هي التراكيب اللغوية في النص القرآني فلو "تدبرت ألفاظ القرآن في نظمها لرأيت حركاتها الصرفية واللغوية تجري في الوضع والتركيب مجرى الحروف أنفسها فيما هي له من أمر الفصاحة فيهيئ بعضها لبعض، ويساند بعضها بعضا، ولن تجدها إلا مؤتلفة مع أصوات الحروف، مساوقة لها في النظم والموسيقى" (مصطفى صادق الرافعي، 2004م، 171)، فكأنها كتلة واحدة مع تعدد المعاني، وتنوع الأساليب، واختلاف التراكيب، علاوة على أن القراءات القرآنية قد أضافت للمعنى القرآني معاني جليلة عندما تنوعت بألفاظها أو إعرابها أو صرفها أو أصواتها، فكانت كقطعة فريدة في الجمال، تأخذ اللب، وتسلب الخاطر.

ومهما بلغ النظم البشري فلن يجاري النظم الإلهي الذي نسج معانيه بأروع الأساليب العربية، وقد رأينا "إطباق العلماء على تعظيم شأن النظم وتفخيم قدره والتنويه بذكره، وإجماعهم ألا فضل مع عدمه، ولا قدر للكلام إذا هو لم يستقم له... وليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو، وتعمل على قوانينه، وأصوله، وتعرف مناهجه التي نُهجت" (الجرجاني، 2003م، 126، 127)، ثم بعد هذا يتضح المعنى من وروعته من خلال اتساقه مع ما تم ذكره من قوانين النظم، فكان القرآن الكريم سباقا إلى تلك القوانين حابكا لها أحسن ما يكون الحبك، وناظما لها أجود ما يكون النظم.

وهناك مؤلفات أسهمت في دراسة معاني القراءات واكتفت بهذا، وهناك من مال إلى التماس الحجة لكل قراءة قرآنية "وذلك ببيان الحجة اللغوية لكل قراءة من القراءات، وقد ينتهي البيان بترجيح قراءة أو أكثر على غيرها في الكلمة موضع الاحتجاج، وقد يكتفي المحتج ببيان الحجج" (حسن، 2012م، 13) دون ترجيح، وإنما يعرضها على القارئ عرضا نحويا أو صرفيا أو لغويا أو صوتيا، والتماس الحجة المناسبة لكل قراءة.

المبحث الأول: التنوع الإعرابي

قال تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَآتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ آتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴾ النمل: ٧]

جاء في القاموس المحيط أن الشهاب هو: "شُعلة من نار ساطعة" (الفيروز آبادي، 2008م، 101)، وهو كذلك عند الأصفهاني إذ قال: "الشعلة الساطعة من النار الموقدة" (الأصفهاني، 2005م، 271)، والقبس هو "شعلة نار تُقتبس من مُعظم النار" (الفيروزآبادي، 2008م، 606)، وهو أيضا "المُتَناول من الشعلة" (الأصفهاني، 2005م، 391) وبجمع التعريفات كلها يبدو أن المعنى سيكون بأنه أراد أن يأتي أهله بقطعة يسيرة يمكن الانتفاع بها من النار الساطعة.

وفي قوله تعالى: "بشهابٍ قبسٍ" قراءتان: الأولى- بالتنوين (بشهابٍ قبسٍ) وهي لحمزة وعاصم والكسائي، والثانية- بالإضافة (بشهابِ قبسٍ) وهي لبقية القراء (ابن زنجلة، 2001م، 522، 523)، وفي قراءة الإضافة يرى الزمخشري أن الشهاب قد يكون قبس أو غير قبس، أي: أن النار قد لا ينتفع منها إذا كان لا يستطيع المرء تجزئتها، أما قراءة التنوين فإن القبس يكون نعتا للشهاب، أو بدلا منه (الزمخشري، (د.ت)، 3/ 354)، وهذا ما رآه صاحب كتاب معاني القراءات، وزاد أن الشهاب والقبس والجذوة بمعنى واحد، وهو كل عود أُشعل في طرفه نار (الأزهري، 2007م، 369)، ويرى الفراء أنه

من قبيل إضافة الشيء إلى اسمه إذا اختلفت أسماؤه، وهو بمنزلة قوله تعالى: "ولدار الآخرة" (الفراء،1983م ،2/ 286) بإضافة الدار إلى الآخرة.

وخلاصة ما قيل: إن قراءة التنوين تعنى أن (قبسٍ) نعت أو بدل من (شهابٍ)، وإضافة (شهابِ) إلى (قبس) سيكون من باب إضافة الشيء إلى مثله دون زيادة معنى.

وبالنظر إلى القراءتين فإن الفرق في المعنى سيكون كالآتي:

- قراءة النعت أو البدل توحي بأنه سيأتيهم بإضاءة، ثم بيّن أنه سيأتيهم بقطعة منها فقط.
- قراءة الإضافة توحي بأنه قرر ابتداء بأن يجتزئ من النار قطعة ليأخذها لهم للاستفادة منها.

والقراءتان بينتا أنه ركّز أولا على النار لإرادة الإضاءة والدفء وغيره، ثم إنه التفت إلى أنه يريد أخذ قطعة منها فقط ليترك منها ما تبقى ليستفيد منها أصحابها؛ لئلا يظن ظان أنه أراد أن يأخذ كل النار التي رآها.

وفي موضع آخر يقول تعالى على لسان نبي الله سليمان (عليه السلام): ﴿ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴾ النمل: ٢١]

ففي قوله تعالى: (ليأتيَنِّي) قراءتان الأولى قراءة الأكثرين، والثانية- (ليأتينّني) بنونين: الأولى- مشددة، والثانية- مخففة، وهي قراءة ابن كثير. (الأزهري، 2007م، 370)، فالأولى المشددة هي نون التوكيد، والثانية هي نون الوقاية الفاصلة بين الفعل وياء المتكلم، وأسماها ابن إدريس بياء العماد.(ابن إدريس، 2007م، 2/ 640).

لعل قراءة ابن كثير جاءت لتؤكد أنه سيأتيه ولا شك؛ لأن سيدنا سليمان –عليه السلام- نبي، وله من علم الغيب ما أطلعه الله عليه، فأكد بثلاث نونات لعلمه بأنه سيأتيه، أما قراءة النون المخففة مع نون الوقاية، فجاءت لتؤكد بشرية سيدنا سليمان، فهو لا يعلم هل سيأتيه بسلطان مبين أم لا؟ فجاءت بنون مشددة واحدة. والله أعلم.

وفي موطن آخر يقول المولى تعالى: ﴿ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَّا يَسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ النمل: ٢٤ – ٢٥]

ففي قوله تعالى (ألا يسجدوا) قراءتان متواترتان: الأولى- هي قراءة الجمهور، وهي بتشديد (ألّا)، والثانية هي قراءة الكسائي بتخفيف اللام في (ألا) (ابن إدريس، 2007م، 2/ 644، 645).

وفي قراءة التخفيف (ألا) يرى ابن زنجلة أن (ألا) للتنبيه، وأن (يسجدوا) أصلها مكونة من كلمتين: (يا) النداء، وفعل الأمر (اسجدوا)، فكأن الكلام معناه: (ألا اسجدوا) استفتاح ثم تلاه أمر، فزيد بينهما بـ(يا) التي للتنبيه وحذفت ألفها (الأخفش، 2002م، 261)؛ ومنه قول الشاعر:

ألا يا اسلمي يا دار مي على البلى ولا زال منهلا بجرعائك القطر (الديوان، 1995م، 102).

أما قراءة التشديد (ألّا) فالكلمة مكونة من (أن) الناصبة + (لا) النافية الموصولة للتأكيد (الزائدة)، وتكون بدلا من السبيل فيكون تقدير الكلام (فصدهم عن السجود) بعد استبعاد المبدل منه، أو أن تكون (لا) النافية على أصلها، وتكون جملة (ألا يسجدوا) بدلا من قوله: (أعمالهم) فيكون التقدير حينئذ: (وزين لهم الشيطان عدم السجود) (الأندلسي، 2001م، 7/ 65، 66).

وعليه فإن قراءة التخفيف (ألا يسجدوا) هي في الأصل أمر بمعنى (ألا يا هؤلاء اسجدوا لله) فهذا الأسلوب معلوم متداول في اللغة العربية، أي: حذف هؤلاء أو ما يقوم مقامه بعد (يا) النداء المحذوف ألفها (ابن عاشور، 1984م، 19/ 255)، وينظر: (الإسترابادي، 2006م، 4/ 345)، أو على تقدير: (ألا يا قوم اسجدوا)، فحُذف المنادى (ابن كثير، 2002م، 3/ 361)، وهي بهذا المعنى تؤكد الجملة الآتية بعدها؛ لأنها مكونة من همزة الإنكار، و(لا) النافية، ونفي النفي إثبات، وبهذا يكون فيها مزيد من الإثبات والتحقيق، فكأنهما بمعنى (إن) إلا أنهما غير عاملين (الإسترابادي، 2006م، 4/ 343)، فكأن الهدهد لفطرته السليمة يؤكد عليهم بأن يسجدوا لله تعالى الذي يستحق وحده العبادة.

أما قراءة التشديد (ألّا يسجدوا) فمتعلقة بتزيين الشيطان لهم بعدم العبادة، أو بصدهم بشكل مباشر عن العبادة بعد تزيين أعمالهم السيئة حتى بدت حسنة لهم فاستساغوها، فمنعهم من السجود لله بعد هذا التحسين للأعمال المشينة.

وقال تعالى: ﴿ قَالُوا۟ تَقَاسَمُوا۟ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِۦ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴾ النمل: ٤٩]

قرأ حمزة والكسائي قوله تعالى: (لنبيتنه، ولنقولن) بتاء الخطاب (لتبيتُنه، ولتقولُن)، وقرأ الباقون من العشرة بناء المتكلمين كما هي في المصحف (الأزهري، 2007م، 375، 376).

فقراءة (لنبيتنه، ولنقولن) بنون المتكلمين توحي بأن الذي أمر داخل معهم في القسم، وهذا وارد في الأسلوب العربي، إذ يقول القائل: تعالوا نفعل، كما قال تعالى: (تعالوا ندع أبناءنا...) فيكون الذي أمرهم بالقسم داخل معهم في التبييت والقول

(الفراء، 1983م، 2/ 296)، أما قراءة الخطاب فإن القائلين – فيما يبدو- خارجون من القسم (ابن زنجلة، 2001م، 531).

وعليه فإن قراءة المتكلمين توحي بأنهم كانوا على أفجر قلب رجل واحد، وكانت كلمتهم موحدة على الاعتداء على نبي الله، فالذين اقترحوا عليهم التقاسم بالله منهم وفيهم، فأدخلوا أنفسهم معهم في نون المتكلمين كناية منهم عن أنهم واحد في القول والتقاسم والتبييت، ثم القول بالنكران.

أما قراءة الخطاب فإنها توحي بأن من اقترح اليمين بالتبييت ثم القول بالنكران كانوا هم أشدهم وطأة على الرسالة وكانوا عُتلاء القوم وأفجرهم، وهذا لا يعني أنهم غير داخلين في التبييت ثم القول بالنكران، بل إنهم من سياق الكلام هم المقترحون لهذه الفكرة السيئة، وقد يكونون داخلين معهم في المشاركة الفعلية في القتل، أو قد يكونون من كبراء السن وأصحاب الخبرة، فاقترحوا فقط، لكنهم لم يشاركوهم فعلتهم.

قال تعالى: ﴿ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكۡرِهِمۡ أَنَّا دَمَّرۡنَٰهُمۡ وَقَوۡمَهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴾ النمل: ٥١]

هناك قراءتان في قوله تعالى: (أَنَّا) بفتح الهمزة و(إنّا) بكسرها، فقراءة الكسر هي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر، والباقون من العشرة بفتح الهمزة (ابن زنجلة، 2001م، 532).

ومعلوم أن كسرة همزة (إن) يعني عموما استئنافا أو بعد القول، أما فتحها فيعني أنها وما بعدها بتأويل مصدر مفرد؛ ولذا فقد تأتي فاعلا أو مفعولا، أو خبرا، أو مبتدأ، أو مجرورا، أو مضافا إليه (الإسترابادي، 2006م، 4/ 277، 278).

ففي هذه الآية الكريمة يطالعنا حرف التوكيد (إن) مكسورا ومفتوحا؛ لينفتح على جملة من المعاني التي تزيد المعنى جلاء وبيانا، فالفتح (أنا دمرناهم) يؤول بأن يكون المصدر المؤول إما بدلا من العاقبة، فيكون المعنى بعد حذف المُبدل منه (كيف تدميرنا لهم)، أو خبرا لمبتدأ محذوف تقديره هو، فيكون المعنى: فانظر كيف كان عاقبة مكرهم هو تدميرهم، وقد يكون على أنه خبرا لـــ (كان) فيكون المعنى (كان عاقبة مكرهم تدميرنا إياهم) (الزمخشري، (د.ت)، 3/ 378)

أما قراءة الكسر (إنا دمرناهم) فعلى الاستئناف الذي يفيد تفسير الحالة التي مروا بها، بمعنى أنه بعد النظر إلى مكرهم وعاقبته والاعتبار به، إنا دمرناهم، فكان الدمار هو خلاصة ما حصل لهم بسبب مكرهم (الفراء، 1983م، 2/ 296).

ويقول تعالى: ﴿ قُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَىٰٓۗ ءَآللَّهُ خَيۡرٌ أَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾ النمل: ٥٩]

في قوله تعالى: (يشركون) قراءتان: الأولى- بالياء في (يشركون) للغائب وهي قراءة أبي عمرو، وعاصم، ويعقوب، والثانية- (تشركون) للمخاطب، وهي قراءة الباقين من العشرة (ابن إدريس، 2007م، 2/ 652، 653).

وواضح أن قراءة الغائب تتحدث عمن أشرك بعد تغييبه عن المشهد؛ لأن الكلام ليس موجها له مباشرة، فالحديث كأنه عبارة عن إرساء قاعدة ما، أو تثبيت معلومة مهمة جدا تفيدنا جميعا، أما قراءة الخطاب (تشركون) فهي موجهة لمن أشرك خاصة، فكأنها ومن أشرك بالله وجها لوجه، والاستفهام هنا على حقيقته بدلالة وجود (أم) المعادلة للهمزة مع وجود تقرير ألوهية الله ضمنا من خلال هذا الاستفهام (ابن عاشور، 1984م، 20/ 9).

وعليه فإن القراءتين قد أثبتتا حجة دامغة على كل من أشرك، فهي تحكي عنه غائبا ليكون الخطاب فيها لكل الناس، وهم أولى بالحكم والإجابة، وتخاطب المشرك لتقيم الحجة عليه ويجيب هو بنفسه على السؤال الذي يحمل في طياته تقريرا على استحقاق الله الكريم للألوهية ونزعها عن غيره؛ لعجزه وضعفه وقلة حيلته، فمن ذا الذي يصمد أمام الله القوي.

ويقول تعالى شأنه: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا وَءَابَآؤُنَآ أَئِنَّا لَمُخۡرَجُونَ ﴾ النمل: ٦٧]

هناك قراءتان في قوله تعالى: (أئذا) الأولى- (إذا) خبرية، والثانية- (أئذا) طلبية استفهامية، وقراءتان في قوله: (أئنا): الأولى- (إننا) خبرية، والثانية- (أئنا) طلبية استفهامية (ابن زنجلة، 2001م، 535، 536).

يبدو من خلال النظر إلى مجمل الآية أن الاستفهام في (أئذا) ثم الإخبار في (أئنا) أن الكلام قد بني على الاستفهام ابتداء، فكان كافيا عن الاستفهام الثاني، بمعنى أن الاستفهام الأول هو عن كونهم تراب، ثم عن كونهم سُيخرجون، أما الإخبار في (إذا) ثم الاستفهام في (أئنا) فهو أن الاستنكار واقع على الإخراج بعد أن كانوا ترابا، فسلط الاستنكار على الإخراج لا على كونهم سيكونون ترابا، فذلك أمر لا يريدون الاستفهام حوله (ابن زنجلة، 2001م، 370، 371).

أما قراءة (أئذا) و(أئنا) فتفيد مزيدا من الاستنكار والاستفهام على الإخراج بعد التحول إلى التراب، فهم يُكثفون من الاستنكار رغم أن الاستفهام مُتوقف على الإخراج فقط، لكنهم أرادوا بذلك الجمع بين إنكارين، وتأكيد الاستفهام يوحي بشدة استبعادهم موضوع الإخراج بعد تحولهم إلى تراب.

ويقول تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ﴾ [النمل: ٨٠]

في قوله تعالى: (تُسمِعُ) الثانية قراءتان: الأولى- (يَسمعُ)، والثانية- (تُسمع)، وفي (الصم) قراءتان: الأولى- (الصمُ) بضم الميم، والثانية- (الصمَ) بفتحه (ابن الجزري، 2002م، 208)، وقراءة (ولا يَسمعُ الصمُّ) بضم الفعل (يَسمعُ) مع ضم (الصمُ) فاعلا للفعل السابق هي قراءة ابن كثير، أما قراءة (ولا تُسمعُ الصمَ) فهي قراءة الباقين من العشرة (ابن زنجلة، 2001م، 655).

وإعراب قوله تعالى: (تُسمعُ) فعل مضارع مرفوع، والفاعل مستتر تقديره أنت يعود على النبي –صلى الله عليه وآله وسلم-، و(الصمَّ) مفعول به منصوب (بهجت صالح، 1993م، 8/ 340).

أما إعراب القراءة الثانية فقوله تعالى: (يسمعُ) فعل مضارع مرفوع، و(الصمُّ) فاعل مرفوع (ابن زنجلة، 2001م، 536).

فالفعل (تُسمعُ) فعل مضارع من الفعل الماضي الرباعي (أسمع) وهو متعدٍ إلى مفعولين: الأول- الصمّ، والثاني- الدعاء، والفاعل مستتر، وهذه خطاب للنبي بأنه ليس لديه القدرة على إسماع الصم عبر الاستعارة التصريحية، بمعنى أن الكافر كالأصم لا يتمكن من سماع الحق، كما لا يمكن للأصم أن يسمع أصلا، فكان هذا كذلك.

أما قراءة (يسمعُ) فهي من الفعل الثلاثي (سمع) الذي يتعدى إلى مفعول واحد، وهنا تم الإسناد مباشرة إلى المشبه به (الصمَّ) وهو الفاعل في الكلام.

فالقراءتان جاءتا لتبينا أن الكافر لا تستطيع يا محمد إسماعه، ولا يستطيع هو بنفسه التمكن من السماع؛ لأنه تماما كالأصم في انعدام السمع، وإن كان الأصم لا يسمع سماعا كاملا، فإن الكافر لا يسمع الحق فكان سمعه كعدمه لا فائدة فيه، والمعنى عدم الرجاء في سماع أو إسماع الكافر كلمات الحق؛ لأنها محرمة عليه، فهو لا يستحقها وإلا لكان الله قد أسمعه، ولكان قد سمعها.

ولنا أن نتخيل أن هذه الآية قد ذُيلت بقوله تعالى: (إذا ولوا مدبرين) وهذا زيادة في توكيد عدم السماع، فالأصم لا يسمع حتى وهو ينظر إلينا، فكيف وقد ولى، فكان هذا ترسيخا وتقوية لعدم سماع الكافر للحق ألبتة.

ويقول تعالى: ﴿وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِى ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ ۖ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ﴾ [النمل: ٨١]

في قوله تعالى: (بهادي) قراءتان: الأولى- (تهدي) بالتاء ونصب (العميَ)، وهي قراءة حمزة والثانية- (بهادي) بالباء وجر (العمي)، وهي قراءة الباقين من العشرة (الأزهري، 2007م، 379).

فعلى قراءة حمزة تكون (ما) نافية، و(أنت) مبتدأ، و(تهدي) جملة فعلية خبر المبتدأ، وعلى قراءة الباقين تكون (ما) نافية عاملة عمل ليس، بدلالة دخول الباء على خبرها، و(أنت) اسمها، و(بهادي) في محل نصب خبرها (ابن زنجلة، 2001م، 537).

فقراءة تهدي تبين أن النبي –صلى الله عليه وآله وسلم- ليس لديه القدرة على هداية من اختار العمى والضلالة، أي: أنه ليس عليه أن يزاول مهنة الهداية؛ فجاءت القراءة بالفعل لتوحي بالحركة ومزاولة الحدث في سياق النفي، بمعنى حتى لو حاولت وكررت فلن تقدر على هدايتهم.

أما قراءة (بهادي) فتوحي لنا بنفي قاطع ثابت ثبات الاسم (هادي) الذي أتى في سياق النفي مسبوقا بالباء الداعمة للنفي المؤكدة له، بمعنى أن هداية العمي ليست صفة ثابتة لك.

فتكون القراءتان قد حققتا المعنيين: معنى الحركة والاستمرار، ومعنى الثبات والجمود، وكلاهما في سياق النفي الذي جاء في أول الجملة بـ(ما) النافية، سواء كانت عاملة أو غير عاملة، وتكون القراءتان قد نفتا حدث الهداية ووصفها الثابت عن النبي لمن اختار العمى والضلالة على الإبصار والحق، فكان من اختار العمى بعيدا جدا عن الطريق المستقيم؛ لأنه لا يستطيع أحد أن يرده ويهديه حتى لو كان الهادي هو النبي.

قال تعالى: ﴿* وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾ [النمل: ٨٢]

في قوله تعالى: (أن الناس) قرئت (أن) بقراءتين: الأولى- بفتح (أن) وهي قراءة عاصم وحمزة والكسائي ويعقوب، والثانية- بكسر (إن) وهي قراءة الباقين من العشرة (ابن إدريس، 2007م، 2/ 656).

ولا يخفى علينا أن قراءة الفتح تعني أن (أنَّ) وما بعدها مرتبط بما قبلها، أي: أن الدآبة التي ستخرج ستتكلم بأن الناس لا يوقنون بآيات الله، أما قراءة كسر (إنَّ) فتعني أن (إنَّ) مستقلة وما بعدها عما قبلها، أي: أنها استئنافية.

على أنه قد قيل في قوله تعالى: (تكلمهم) أنه بمعنى تجرحهم من (الكلم) أي: الجرح، فتضرب المؤمن بين عينيه فيبيض وجهه، والكافر فيسود وجهه، والرأي الآخر أنه من

الكلام، أي، الحديث المعروف (الرازي، 2000م، 24/ 187)، وينظر: (هادي نهر، 2008م، 239).

وإذا تناولناها على أنها من الكلام الذي يعني الحديث فإن قراءة الفتح قد نسبت الكلام للدآبة، وهي التوكيد بأن الناس قد ابتعدوا عن الإيمان، والدآبة من عند الله، وهذا يعني أن لديها علما من عند الله بما تقوله، وأما قراءة الكسر فتعني أن الدآبة ستكلم الناس بكلام كثير لا يصدر إلا من إنسان يعقل، ثم استأنف المولى عز وجل وانقطع الكلام عن كلام الدابة للناس، فكان الكلام الآتي بمعزل عن السابق فقيل: (إن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون) بمعنى أن هذا الكلام من الله عز وجل، ولا علاقة للدآبة به.

قال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ ﴾ النمل: ٨٧]

في قوله تعالى: (أتَوه) قراءتان: الأولى- (أتَوه) بالقصر مع فتح التاء، وهي قراءة حمزة وحفص، والثانية (آتُوه) بالمد مع ضم التاء، وهي قراءة الباقين من العشرة، (الأزهري، 2007م، 380).

فصيغة (أتَوه) فعل ماض بها ضميران، الأول ضمير الواو، وهو يخص الناس، والهاء، وهو ضمير المفعول، ويعود على لفظ الجلالة، أما صيغة (آتوه) فهي اسم فاعل مضاف إلى هاء الغائب العائد على لفظ الجلالة، وصيغة الماضي في هذا السياق جاءت للاستقبال بدلالة (يوم يُنفخُ)، وقد جاء الفعل بصيغة الماضي للدلالة على التحقق والوقوع، فكأنه في حكم ما وقع وتم، وإن كان سيحدث في المستقبل (ابن عاشور، 1984م، 20/ 46)، وقد يُعدل عن المضارع إلى الماضي إلى صيغة المضارع للدلالة على سرعة تحقق حصول الفعل وحدوثه، وللدلالة على استقراره وكأنه ثابت (الهتاري، 2008م، 58، 59)، ومعنى (داخرون) صاغرون (الأندلسي، 2001م، 66)، أي: أن الصغار متلبس بكل من استكبر عن عبادة وتجبر.

فصيغة الماضي توحي بالحركة التي ستحصل منهم، وكأنها قد حصلت، وفيها من معاني الحركة ما فيها والإتيان، أما صيغة اسم الفاعل (آتوه) فتوحي بالإخبار بعد (كلٌ) للدلالة على ثبوت الأمر وحصوله بما يقطع الشك، ويوصل إلى رتبة اليقين؛ لأن الإخبار من الله، فهو قطعي يقيني، هذا أولا، وثانيا- فإن اسم الفاعل في هذا السياق تحديدا يوحي بالثبوت والحصول كما هو حال اسم الفاعل (السامرائي، 2005م، 41)، فدل على أنهم آتون لا محالة، فجمعت القراءتان بين الحدث ومحدثه وزمنه، وبين ثبوته كحدث ثابت يدل على الإتيان.

وقال تعالى: ﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴾ النمل: ٨٩].

في قوله تعالى: (من فزع يومئذ) ثلاث قراءات: الأولى- (فزعٍ يومَئذ) بالتنوين في (فزع) وفتح الميم في (يومئذ)، وهي قراءة عاصم وحمزة والكسائي، والثانية- (فزعِ يومِئذٍ) بكسر العين في (فزع)، وكسر الميم في (يومِئذ)، وهي قراءة أبي عمرو وابن كثير وابن عامر وإسماعيل، وقرأ نافع وحده بكسر العين (فزعِ) ونصب (يومَ) في (يومَئذ) (ابن زنجلة، 2001م، 540).

فقراءة التنوين تنفتح على معنى إزالة الفزع بأنواعه وأزمانه، وليس مرتبطا بشيء ما، فهم من كل فزع آمنون، أما قراءة الإضافة، فتركز على معنى أنهم من فزع ذلك اليوم آمنون، ولا إشكال في الجمع بين المعنيين، فذلك اليوم يثير الفزع بما فيه من أخذ للظالم، وحساب عسير، وطول مقام، وتشديد وخوف؛ أما أصحاب الحسنات فهم من فزع ذلك اليوم المخيف آمنون، أما قراءة التنوين دون الإضافة فهي تنفي كل فزع ممكن يصيب المحسن، ثم تؤكد أمانه، فالفزع قد يحدث بسبب الذنوب التي ارتكبها المرء في الدنيا، وقد تحدث بسبب قلة الحسنات المرصودة للمرء، وقد يكون بسبب التقصير الذي قد يحصل للمسلم بسبب الضعف وقلة الحيلة، لكن الله نفى عن المحسن كل فزع بسبب ما قد يتبادر إلى ذهن المسلم فجعله آمنا في كل حال ثم ذُكر الظرف (يومَئذ) الذي هو من باب إضافة الظرف إلى مثله (الدرويش، 1999م، 5/ 561) لتخصيص ذلك اليوم بشكل أكبر من غيره.

المبحث الثاني: التنوع الصرفي

يقول الله تعالى حاكيا قصة قوم صالح ومقالتهم عن نبيهم: ﴿ قَالُوا۟ تَقَٰسَمُوا۟ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِۦ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴾ النمل: ٤٩]

في قوله تعالى: (مَهلِك) ثلاث قراءات: الأولى- (مَهلَك) وهي قراءة أبي بكر عن عاصم، والثانية: (مَهلِك)، وهي رواية حفص عن عاصم، والثالثة: (مُهلَك) وهي قراءة الباقين (ابن إدريس، 2007م، 2/ 651).

فمن قرأ (مُهلَك) فعلى أنه اسم مفعول للفعل (أهلك)، فمضارعه حينئذ (يُهلك)؛ لأنه اسم مفعول لفعل غير ثلاثي (ابن هشام، 2004م، 2/ 199)، فكأنهم يؤكدون على أنهم لم يشهدوهم حين تم إهلاكهم من قبل مجهول، أو أنه اسم زمان أو مكان من الفعل الرباعي (أهلك)؛ لأنه معلوم أن اسم الزمان والمكان يصاغان من الرباعي على وزن مضارعه مع إبدال حرف المضارعة ميما مضمومة وفتح ما قبل آخره، ويلتقي

بهذا مع اسم المفعول، ويكون قسمهم على أنه لم يشهدوا زمان أو مكان الإهلاك، وقد يكون مصدرا أيضا (ابن يعيش، 2001م، 4/ 148)، وبهذا يكونون قد أقسموا أنهم لم يشهدوا الهلاك ألبتة.

ومن قرأ (مَهلِك) فعلى أنه اسم زمان أو مكان من الفعل (هلك)، ولأن مضارعه مفتوح العين (يهلَك) فهو على وزن (مفعِل) فكأنهم حينئذ يحلفون على أنهم لم يشهدوا مكان أو زمان هلاكهم فضلا عن أن يكونوا هم من قاموا بإهلاكهم.

ومن قرأ (مَهلَك) فعلى أنه مصدر للفعل (هلك) (الألوسي، (د.ت)، 19/ 213) فيكونون قد أقسموا ما شهدوا الهلاك قط.

وبهذا تكون القراءات كلها معضدة لبعضها بعضا، فكأنهم نووا أن يتقاسموا على عدم مشهد الهلاك، والهالكين، وموطن الهلاك وزمنه، فيكونون بهذا القسم أبعد الناس عن الريبة.

ويقول الله تعالى: ﴿ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَٰهَا مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴾ النمل: ٥٧]

في قوله تعالى: (قدَّرناها) قراءتان: الأولى- (قدَرْناها) بالتخفيف، وهي قراءة أبي بكر، والثانية- (قدَّرْناها) بالتشديد، وهي قراءة الباقين من العشرة (ابن زنجلة، 2001م، 533).

أما ابن زنجلة فيرى أن (قدَر)، و(قدَّر) لغتان، والمعنى واحد (ابن زنجلة، 2001م، 533)، وأما الراغب في مفرداته فيبين أن معنى (قدَر) تبيين كمية الشيء، أو جعله على مقدار مخصوص ووجه مخصوص، وتأتي بمعنى التضييق، أما (قدَّر) مشددة فتأتي بمعنى إعطاء كل شيء حقه، والإشارة إلى ما كُتب في اللوح المحفوظ من أوامر الله (الراغب الأصفهاني، 2005م، 396، 397).

وعليه فإن قراءة التخفيف تشي بأن امرأة لوط كان حقها، وقدْرها والوجه الأمثل لها بناء على عملها تستحق أن تكون من الهالكين، أما قراءة التشديد (قدَّرناها) فتركز على حق الله وتقديره وأن ما أصابها مكتوب عليها أنها من الهالكين، وسواء قراءة التخفيف أو التشديد فإنهما يدلان على هلاكها، إلا أنهما يتعاضدان في المعنى، فقراءة التخفيف تجعل امرأة لوط هي محور هلاكها، وإن كان الله هو الذي (قدَر) أنها من الهالكين، وقراءة التشديد تشير إلى أن الله تعالى هو الذي أهلكها بسبب أنه قدّر عليها أن تهلك مع الهالكين، وكلتا القراءتين تدلان أن سبب هلاكها هو انسلاخها عن دين الله واتباعها لملة قومها ومجاهرتها بالمعاصي مع من جاهر من قوم لوط، فكان عاقبتها أن الله قدرها، وقدّر عليها أن تكون من أصحاب الهلاك.

ويقول الله تعالى شأنه: ﴿ أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ ﴾ النمل: ٦٣]

في قوله تعالى: (الرياح) قراءتان: أولاهما بالإفراد (الريح) والأخرى بالجمع (الرياح) (ابن إدريس، 2007م، 2/ 653).

من السمات التعبيرية والخصوصية التي امتاز بها القرآن عن غيره أن له انتقاءات وكلمات استعملها في مواطن مخصصة دون غيرها، ومن ذلك استعمال الريح مفردة في حال العذاب، والرياح جمعا في حال الرحمة والخير (السامرائي، 2006م، 14).

أما في هاتين القراءتين فقد وردت كلمة (الرياح) مفردة وجمعا، فكيف بالإمكان تخريج القراءتين بناء على رؤية الدكتور السامرائي الذي استقصى كلمة الريح والرياح، فوجد أن كلا منهما لم ترد إلا في سياق مخصص لها، أما في هذه الآية فالذي يبدو هو الجمع بين المعنيين، معنى الرحمة والعذاب، فالرياح تأتي قبل الغيث لتبشر الناس بنزوله، وتحرك السحاب إلى حيث يشاء الله، وفي حالة الإفراد ففيها معنى العذاب حتى لو رآها الناس مبشرة، فمن يدري فلعلها عاصف من الذي يأتي مع الأمطار فيحول الرحمة إلى عذاب محظ كما هو ملحوظ في بعض الأعاصير التي تأتي مع المطر فتحيل الأرض إلى خراب، فجاءت القراءتان للريح في هذه الآية لتوحي بالمعنيين مع بعض، معنى الرحمة للمؤمنين، ومعنى العذاب والخزي للكفار والمنافقين.

ويقول الله عز وجل في موطن آخر حاكيا قصة نبي الله سليمان مع الهدهد: ﴿ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴾ النمل: ٢٢]

(مكث) فيها قراءتان: الأولى- (مَكَثَ) بفتح الكاف، والثانية- (مَكُثَ) بضمها، فالقراءة الأولى هي قراءة عاصم، والقراءة الثانية هي قراءة البقية من العشرة. (ابن الجزري، 2002م، 207).

وقد خرَّج الإمام الأزهري القراءتين على أنهما لغتان في مكث، فنقول: (مكَث)، و(مكُث). (الأزهري، 2007م، 371)، ومكَث، ومكُث بمعنى لبث، أو انتظر (الرازي، 2007م، 360).

على أن هناك من يرى أن فاعل الفعل (مكث) هو سيدنا سليمان، ويكون التقدير أنه –عليه السلام- مكث زمانا غير زمن بعيد، ومن يرى أن الفاعل هو الهدهد، فيكون التقدير أنه مكث مكانا قريبا من مكان سيدنا سليمان (الزجاج، (د.ت)، 304)، أو أنه مكث غير طويل من الإقامة (الفراء، 2006م،

380)، كما أن هناك من يرى أن الفعل الذي بصيغة (فَعَل) إذا تحول إلى صيغة (فَعُل) فإنه يدل على الثبوت والقرب، ومن ذلك قولهم: خطُب فلان، إذا صار خطيبا، وفقُه، إذا صار فقيها، أي: أنه تحول من حال إلى حال ثم ثبوت الفعل فيه حتى ليكاد يتحول إلى صفة ملازمة له. (السامرائي، 2000م، 208).

ومن هنا بإمكان الباحث أن يستخلص معنى تقريبيا لهاتين القراءتين من خلال نظر الدكتور السامرائي، إذ إن القراءة (مكَث) جاءت على صيغتها الأصلية، فقد جلس مبتعدا قليلا فقط عن سيدنا سليمان ليُخاطبه بما يريد، أما الصيغة (مكُث) فقد جاءت لتقرر أن مكوثه كان ثابتا طويلا، وكأنه مع خوف من بطش سيدنا سليمان، لأن الفعل (مكُث) يدل على أن تحول المكث إلى شيء ثابت، فكأنه مكث طويلا حتى بدأ بالكلام.

فكلا القراءتين جاءتا لتبين أنه مكث، ثم إن مكوثه كان طويلا قبل البدء بالكلام. ويقول تعالى: ﴿ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُن فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴾ النمل: ٧٠]

في قوله تعالى: (ضَيق) قراءتان: الأولى (ضِيق) وهي قراءة ابن كثير، والثانية بفتح الضاد (ضَيق) وهي قراءة بقية العشرة (ابن زنجلة، 2001م، 466، 467).

والضَيق بالفتح هو ما يضيق به وعنه الصدر، بينما الضِيق بالكسر فإنه فيما يجوز أن يتسع مثل الأرض والثوب والدار وغيرها (الفراء، 1983م، 2/ 115).

والضيق عموما ضد السعة، ويأتي للدلالة على البخل والحزن والغم والعجز ونحوها (الراغب الأصفهاني، 2005م، 303).

والضَيق بالفتح قد يكون مصدرا من (ضاق، يضيق، ضَيقا)، وقد يكون جمع (ضيقة) (ابن زنجلة، 2001م، 467).

وعليه فإن القراءتين قد انفتحتا على معان جليلة جاءت في سياق النفي لتنهى سيدنا الرسول –صلى الله عليه وعلى آله وسلم- عن أي من معني الضيق التي قد تصيبه، فهي تنهاه عن أن يُوقع نفسه في ضَيق، أي: في أي حدث مجرد من الزمان للضيق، وتنهاه أن يوقع نفسه في أي ضيق مهما قل أو كثر إذا كانت جمع (ضيقة)، كما أنها تنهاه أن يوقع نفسه فيما هو ضد السعة، بمعنى أنها تنهاه عما يُلجئه إلى الحزن أو الخوف أو القلق عموما؛ لأن الله كافيه، وأن الله مخرج مكرهم له، فهي تنهاه أن يعتريه أدنى ضيق كيفما كان نوع هذا الضيق.

الخاتمة والنتائج

توصل البحث إلى مجموعة من النتائج، أهمها:

1- القراءات القرآنية متكاملة مع بعضها لا متناقضة.

2- تحمل كل قراءة من القراءات القرآنية معنى متضافرا مع المعنى الآخر يؤديان إلى اكتمال الصورة.

3- اختلاف القراءات القرآنية اختلاف تنوع لا اختلاف تضاد.

4- المعنى الذي استقلت به كل قراءة يوضح وجها من وجوه الدلالة القرآنية.

5- التنوع الإعرابي والصرفي كلاهما يكثفان المعنى ويزيدانه بهاء ووضوحا.

قائمة المصادر والمراجع

1- أثر القراءات القرآنية في استنباط الأحكام الفقهية، عزت كرار، مؤسسة المختار، القاهرة، ط2، 2006م

2- الاحتجاج للقراءات، د. محمد أبو القاسم حسن، المكتبة الوطنية، الخرطوم، 2012م.

3- الإعجاز البياني في العدول النحوي، د. عبد الله الهتاري، دار الكتاب الثقافي، الأردن، 2008م.

4- إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، الرافعي، دار إحياء التراث، بيروت، 2004م.

5- إعراب القرآن، الزجاج (تح: إبراهيم الأبياري)، در الكتاب المصري، القاهرة، (د.ت).

6- إعراب القرآن الكريم، محيي الدين الدرويش، دار ابن كثير، بيروت، ط7، 1999م.

7- الإعراب المفصل، بهجت صالح، دار الفكر، عمان، 1993م.

8- أوضح المسالك، ابن هشام، (تح: محمد محيي الدين عبد الحميد)، دار الطلائع، القاهرة، 2007م.

9- التعبير القرآني، فاضل السامرائي، دار عمار، الأردن، ط4، 2006م.

10- تفسير البحر المحيط، أبو حيان (تح: عادل الموجود وآخرين)، دار الكتب العلمية، لبنان، 2001م.

11- تفسير التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984م.

12- تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، دار المنار، القاهرة،2002م.

13- التفسير الكبير، الرازي، دار الكتب العلمية، بيروت، 2000م.

14- التفسير اللغوي الاجتماعي للقراءات القرآنية، هادي نهر، عالم الكتب الحديث، إربد، 2008م.

15- تقريب النشر في القراءات العشر، ابن الجزري، (تح: جمال الدين شرف)، دار الصحابة، طنطا، 2002م

16- الجملة العربية والمعنى، فاضل السامرائي، دار ابن حزم، بيروت، 2000م.

17- حجة القراءات، ابن زنجلة (تح: سعيد الأفغاني)، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط5، 2001م.

18- دلائل الإعجاز في علم المعاني، الجرجاني، المكتبة العصرية، بيروت، 2003م.

19- روح المعاني، الألوسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د.ت).
20- شرح ابن يعيش، ابن يعيش (تح: إميل يعقوب)، دار الكتب العلمية، بيروت، 2001م.
21- شرح الرضي، رضي الدين الإستراباذي (تح، إميل يعقوب)، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، 2006م.
22- صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج (تح: محمد فؤاد عبد الباقي)، دار إحياء التراث، بيروت، (د.ت).
23- القاموس المحيط، الفيروزآبادي، دار الكتاب العربي، بيروت، 2008م.
24- الكتاب المختار، أحمد بن إدريس (تح: عبد العزيز الجهني)، مكتبة الرشد، الرياض، 2007م.
25- الكشاف، الزمخشري (تح: عبد الرزاق المهدي)، دار إحياء التراث، بيروت، (د.ت).
26- مختار الصحاح، الرازي، (تح: يحيى مراد)، مؤسسة المختار، القاهرة، 2007م.
27- مشكل إعراب القرآن ومعانيه، الفراء (تح: محد العباني)، دار الصحابة، طنطا، 2006م.
28- معاني الأبنية في العربية، فاضل السامرائي، دار عمار، الأردن، 2005م.
29- معاني القراءات، الأزهري (تح: محمد الشعباني)، دار الصحابة للتراث، طنطا، 2007م.
30- معاني القرآن، الأخفش (تح: إبراهيم شمس الدين)، دار الكتب العلمية، بيروت، 2002م.
31- معاني القرآن، الفراء، عالم الكتب، بيروت، ط3، 1983م.
32- المفردات في غريب القرآني، الراغب الأصفهاني (تح: محمد عيتاني)، دار المعرفة، بيروت، ط4، 2005م.
33- من مشتبهات القرآن الكريم، عادل الرويني، مكتبة عباد الرحمن، مصر، 2008م.